

المأثورة

ALMAWROUTH

33

- تراث الشرق الثقافي في (رحلة بالغة الأهمية) لدوارتي باربوزا
- سيميائية الرحلة في لامية الماجدي بن ظاهر
- قراءة في أغنية الحوش التقليدي التونسي
- احتفالات حمل المهد الفلكلورية (هيشيك بيشيك) في العصر العثماني

مجلة فصلية محكَّمة
تعنى بالتراث الثقافي
تصدر عن معهد الشارقة للتراث
السنة الثامن - العدد - 33 - مارس 2024

إصدارات معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute For Heritage Publications
مجلة فصلية محكَّمة تعنى بالتراث الثقافي تصدر عن معهد الشارقة للتراث السنة الثامنة - العدد - 33 - مارس 2024
A REFEREED QUARTERLY JOURNAL CONTROVERSIES IN THE FOLKLORE BY SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE Eighth year - Issue - 33 - MAR . 2024
33

ALMAWROUTH

A REFEREED QUARTERLY JOURNAL CONTROVERSIES IN THE FOLKLORE BY SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE Eighth year - Issue - 33 - MRA . 2024



المريحانة (الأرجوحة)
من ألعاب الأطفال الشعبية المزدوجة في الإمارات
التي كانت تدخل الفرح والسرور على قلوبهم وهم يمارسونها

الدراسات

المقالات

عروض الكتب

ABSTRACTS



عاشوراء في المغرب.. الأصول والامتدادات

محمد ناسمي *

Achoura au Maroc: les origines et les extensions

Mohamed Nasmi

* باحث في التراث الشعبي - المغرب .

Résumé:

Achoura est une fête religieuse commémorée par les Marocains en jeûnant les neuvième et dixième jours du mois de Muharram, en plus de payer la zakat et l'aumône, et de visiter les cimetières au dixième de celui-ci. Les célébrations de l'Achoura se distinguent également par leur histoire ancienne, et leur diversité d'une région à l'autre et d'une ville marocaine à l'autre, ce qui confirme la richesse et la diversité de la civilisation marocaine.

الملخص:

تعـدّ عاشـوراء مناسـبة دينيـة يخلدها المغاربـة بصيام اليومين التاسـع والعاشر من شـهر محـرم، إلى جانب إخـراج الـزكاة والصدقـات، وزيارة المقابـر، لكن أيضاً هي مناسـبة للفـرح والاحتفال، وممارسـة مجموعة من العـادات والتقاليـد والطقـوس، التـي تمتـد في غالباً الأحيـان من غرة محرم من كل سـنة هجريـة إلى العاشر منـه. كـما تتميـز احتفـالات عاشـوراء بتاريخهـا القديـم، وتنوعها مـن منطقة لأخـرى، ومن مدينـة مغربية لأخـرى، وهو مـا يؤكد غنى وتنـوّع الحضـارة المغربية.

تقديم:

تتعدّد الأسماء التي تطلق على عاشوراء في المغرب كالعاشر، والعاشور، والعواشر... هذا اللفظ الأخير الذي يطلق كذلك على بقية الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى، والذي لم يكن اعتباطاً، فعاشوراء بالمغرب اجتمع فيها من العادات والتقاليد والطقوس ما تفرق عن بقية الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى، حيث نجد تركزاً لها في عاشوراء، ومن جهة أخرى، فإحياء عاشوراء والاحتفال بها يتنوع بتنوع المناطق والجهات، فمن شرق المغرب إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه نجد تعدداً وتنوّعاً في الاحتفالات، شكلت مع بعضها بعضاً فسيفساء.

وهذا المقال هو محاولة لدراسة وتوثيق عاشوراء في المغرب أولاً، عبر النبش في جذورها التاريخية، ثم برصد تنوع الاحتفال بها بين مناطق المغرب، إلى جانب التعريف بأهم العادات والتقاليد والطقوس الممارسة في هذه المناسبة، وأخيراً محاولة تفسير أصل الاحتفالات بعاشوراء، كما فسره عدد من العلماء والباحثين.

عاشوراء احتفالات خلّدتها الدول المتعاقبة على حكم المغرب

بالرجوع إلى المصادر والمراجع التاريخية، يتبين أن المغاربة قد احتفلوا بمناسبة عاشوراء قروناً من الزمان قبل اليوم، كما أن هذه الاحتفالات لم تكن شعبية فقط، بل كانت رسمية أيضاً، حيث احتفل سلاطين المغرب بها.

الاحتفالات بعاشوراء في عهدي الدولتين المرابطية والموحدية

كانت عاشوراء من الأعياد الدينية الإسلامية المحتفل بها في عهدي المرابطين والموحدين في المغرب كما في الأندلس، وكانت تتجلى مظاهر الاحتفال بها في هذه الفترة من خلال تقديم الأطعمة والفواكه في هذا اليوم[1]، إلى جانب خروج المغاربة إلى الطبيعة للنزهة التي كانت من العادات الأندلسية التي تأثر بها أهل عدوة المغرب من جيرانهم في العدوة الشمالية خلال العهد المرابطي، وترسخت أكثر على عهد الموحدين[2]. كما ارتبط الاحتفال بعاشوراء في هذا العهد ببروز بعض الظواهر الاجتماعية، كاستغلال المتسولين هذه المناسبة لكسب عطف الناس، ففي فاس يذكر التميمي في ترجمة أحد الزهاد، أن والده خرج في عيد عاشوراء قاصداً المسجد الجامع، فرأى جماعة منهم يتضرعون جوعاً، ويستجدون المارة وقاصدي المساجد في هذا اليوم الديني[3]، كما استغل بعض المتصوفة هذه المناسبة لفعل الخير، حيث إن أحد المتصوفة اعتاد جمع المريدين في يوم عاشوراء من كل سنة والإنفاق عليهم، والإكثار من الطعام، ولو اضطر إلى الاستدانة.[4]



الاحتفال بعاشوراء في عهد الدولة المرينية

عرفت الاحتفالات بعاشوراء في عهد الدولة المرينية طابعاً رسمياً، حيث أشرف على هذه الاحتفالات سلاطين هذه الدولة بأنفسهم، مثل أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، وأبي عنان، الذين كانوا يقومون خلالها بأعمال إحسانية عدة لمصلحة الفقراء والمحتاجين، منها القيام بحملات إعذار للأطفال المحتاجين، مع تقديم الملابس والطعام



والمال لهم، فكان السلطان أبي يعقوب بن عبد الحق المريني يقوم بتطهير الأيتام وكسوتهم والإحسان إليهم بالدراهم والطعام في كل عاشوراء[5].

أما على المستوى الشعبي فكانت عاشوراء مناسبة لقيام الأسر بالإحسان للمعلمين الذين يعتنون بتدريس أبنائهم، وهو ما أفتى أبو العباس الونشريسي بجوازه عندما سئل عما يأخذ المعلمون في عاشوراء. فأجاب لا بأس بالأخذ في عاشوراء[6].

الاحتفال بعاشوراء في عهد الدولة السعدية

حافظت الدولة السعدية على الاحتفال الرسمي بعاشوراء، وعلى عادة إعذار أبناء الفقراء والمحتاجين والإحسان إليهم، فكان السلطان أحمد المنصور الذهبي يعطي أوامره لختان أطفال الفقراء والمحتاجين، مع الإحسان إليهم بتقديم أثواب الكتان لهم، وأكياس الدراهم، وحصص من لحم البقر[7].

الاحتفال بعاشوراء في عهد الدولة العلوية

أما بعد مجيء الدولة العلوية، فسيعرف الاحتفال بعاشوراء مظاهر جديدة، منها إقامة عروض مسرحية شعبية في الهواء الطلق بساحة المشور الملكي أمام السلطان، حيث هناك كانت تدور مشاهد هجائية ساخرة مشحونة غالباً بروح النكتة[8]. كما كان سكان بعض المدن كمراكش يحتفلون بليلة عاشوراء كذلك عبر عرض مسرحيات تمثل عوائد أو تصرفات أشخاص من تجار وغيرهم[9]، كما كان التحضير لعاشوراء بالقصور الملكية، يتم بتغيير نظام التموين الذي كانت تتميز به دائماً المواسم والأعياد والمناسبات الدينية بإدخال مواد تموينية كالحلويات والدجاج للعموم، زيادة على المقرر يومياً للخاصة، وما يلعب به الصبيان من المزامير والأواني[10]، الذين كانوا يستفيدون من عطلة بمناسبة عاشوراء التي تبتدئ من صبيحة اليوم العاشر إلى غروب اليوم الثالث عشر[11]، وقد استمر على المستوى الشعبي شراء الفواكه الجافة للاحتفال بعاشوراء، ففي عهد السلطان العلوي المولى سليمان أشار محمد الضعيف الرباطي إلى أنه في عاشوراء عام 1211 هـ، لم نجد اللوز ولا الفاكهة وكانت السفن توسق الزرع[12].

جغرافية الاحتفال بعاشوراء في المغرب

تتميز الاحتفالات بعاشوراء على المستوى الشعبي بالاستعداد لها ابتداء من غرة محرم من السنة الهجرية، حيث يزداد الرواج في الأسواق التي تتزين بمواد وسلع خاصة بالمناسبة، أما الأسر والعائلات المغربية، فيكون استعدادها للاحتفال بعاشوراء باقتناء الفواكه الجافة كالتمر والتين المجفف واللوز والجوز والحمص والفول السوداني، وشراء بعض أنواع الحلوى، إلى جانب شراء مختلف الدمى والألعاب للأطفال، وشراء أنواع البخور، والملابس التقليدية للأطفال كالقفطان للإناث والجلباب للذكور، كما تحرص ربات البيوت على صنع أنواع من الحلويات الخاصة بعاشوراء تسمى «القريشلات»، أما في اليوم العاشر من شهر محرم ليلة عاشوراء فتبدأ الاحتفالات باللعب على آلات الإيقاع مع ترديد أهازيج شعبية خاصة بالمناسبة، وتحضير وجبة العشاء التي تكون عبارة عن كسكس بسبع خضر مع ذيل الخروف والقديد المتبقي من عيد الأضحى الذي تمّ تناوله، يتم تحضير الشاي المغربي الذي يشرب مع الفواكه الجافة التي تخلط مع بعضها بعضاً لتوزع على أفراد العائلة بالتساوي بوساطة إناء فخاري يسمى زلافة، ولا تقف الاحتفالات عند حدود البيت، بل تتعداه إلى الحي والقرية، حيث يجتمع أهل الحي أو القرية على نار يتنافسون على القفز فوقها مع الغناء وترديد الأهازيج الشعبية الخاصة بمناسبة عاشوراء، وابتداء من صباح اليوم التالي يكون زمزم، حيث يكون اللعب والاستحمام بالماء طلباً للخير والبركة، معتقدين في ذلك أن جميع مياه الأرض تتصل في هذا اليوم بماء زمزم.



لكن احتفالات عاشوراء في المغرب تعرف اختلافاً وتنوعاً من منطقة لأخرى، بل حتى في الزمان بين الماضي والحاضر، وهو ما يبرز غنى الثقافة الشعبية المغربية، ففي مدينة الرباط كان الناس يصومون بمناسبة عاشوراء، كما كانوا يختارون يوماً تؤدى فيه الزكاة، ويوسعون على العيال والأطفال وتقام فيه الأراجيح ووسائل التسلية البريئة بالسوق الخاص الذي



يجتمع رواده بساحة سوق الغزل[13]، وفي مدينة فاس بمناسبة عاشوراء كانت توزع الهدايا على الأطفال، أما بالنسبة لتلاميذ الكتاتيب القرآنية الفاسية على الخصوص، فكانت كذلك عيد النور، فقبل أسبوع كان كل تلميذ يحمل إلى معلم القرآن قدحاً من الزيت، ثم يهيئون كلهم إنارة قاعة الدرس خلال الأيام التالية، كما كانت عاشوراء عيداً لطلب البركة، حيث كان أطفال الكتاب القرآني يحفزون درساً قصيراً لتكون بداية السنة جيدة، كما كان الصناع يذهبون إلى معاملهم، والتجار إلى دكاكينهم، ليكون العام مزدهراً، وفي البيوت عند مطلع الفجر، كانت تفتح جميع الحقائب، والصناديق، والخزائن، والأبواب، حتى ينشر الله بركته بدون عائق وتعطى الزكاة للمساكين. وعيداً للتجديد، حيث فيه تشترى ثياب جديدة، ويحلق الرجال رؤوسهم، ويقصون أظافرهم[14]، أما في شمال المغرب في مدينة تطوان، فيكون الاحتفال بعاشوراء بصوم يومي تاسوعاء وعاشوراء، وشراء الفواكه الجافة، واللعب للأطفال الصغار، والملابس للنساء، ومناسبة لارتداء اللباس التقليدي والتزيين، ويعد الكسكس بقديد عيد الأضحى، كما تكون عاشوراء مناسبة لإخراج الزكاة.

وفي الجنوب في المدينة الحمراء مراكش كانت النساء يصعدن للأسطح للاحتفال بالضرب على آلات الإيقاع والغناء، وترديد أهازيج عاشوراء، أو التجمع في الحي

أمام أبواب المنازل، ويختتم الرجال والشباب في مراكش هذه الاحتفالات الجماعية، وما يرافقها من ألعاب وأهازيج شعبية، بلعبة الدقة المراكشية الشهيرة. وتقام في ساحات أكبر الأحياء، في المدينة القديمة، ويقوم باشا المدينة، بتكريم فرقة الحي التي تفوقت في هذه اللعبة بمنحها هبة مالية، تنظم بها نزهة في حدائق أكدال قد تدوم ثلاثة أيام[15]. أما في منطقة دكالة، فكانت الاحتفالات تبدأ في ليلة التاسع من شهر محرم بعد غروب الشمس، حيث تجمع أكوام الحطب في أفنية كل الدور أو في أعتابها، وتشعل النار في هذه الأكوام مع استعمال قديدة من عيد الأضحى، وعندما يرتفع لهيب النيران يتلاحق رجال البيت في قفزها، أما النساء والأطفال فينتظرون حتى ينخفض لهيبها، وفي هذه الليلة تجتمع كل الأسر على موائد العشاء لتناول وجبة الدجاج التي تعد خصيصاً لهذه المناسبة. وبعد العشاء تعلن الحلقة الثانية بدايتها بخروج النساء والأطفال إلى ساحة الدوار، حيث يبدأ العزف على الدفوف، والأداء الجماعي لعدد من الأغاني والأهازيج الخاصة بهذه المناسبة. وفي الصباح الباكر من اليوم الموالي للعاشر من محرم قبيل طلوع الشمس تبدأ المرحلة الثالثة المتمثلة في الاستحمام بالماء البارد، حيث يتحول ماء البرك والآبار إلى ماء مقدس زمزم[16]. ولا تختلف الاحتفالات في منطقة بزو عن منطقة دكالة، حيث يقوم أطفال المنطقة مع بداية شهر محرم بجمع الحطب وتخزينه في أماكن آمنة استعداداً للحدث الكبير، وهو يوم الشعالة، حيث يتنافس أبناء الدواوير حول من ستبقى شعلته متقدة إلى وقت متأخر من الليل. ومن عادات الأطفال كذلك



عندما يجمعون الحطب، يحمل كل واحد حصته، وفي طريق عودتهم إلى قريتهم ينتظمون في صف منتظم مرددين أهازيج محلية. أما البنات فيبدأ الاحتفال عندهن بصنع دمية من قصب يسمونها سيدي عاشور، وتلبسنها الجلباب والعمامة والحذاء ثم تنتقلن بها طارقات الأبواب يطلبن بعض الهدايا من أسر القرية[17]، كذلك في منطقة الرحامنة تكون الاحتفالات بالغناء والضرب على آلات الإيقاع وإشعال النار والقفز فوقها، ومن عاداتهم في عاشوراء، أن الناس لا يطبخون شيئاً يلزم فيه الكسكاس. بل إنهم في كثير من المناطق لا يطعمون في هذا اليوم غير الأشياء الجافة من القمح وفول وحمص، أما في اليوم الموالي، فإنهم يطعمون الكسكس ذا السبع خضاري والزبدة والعسل والشفنج وغيرها من الأطباق الشهية، وإذا التقوا بعضهم تبادلوا التمنيات بأن تكون السنة الهجرية سعيدة.[18]

وفي واحة تسينت بمناسبة عاشوراء لا يشعل السكان النار للطبخ ثلاثة أيام، معتقدين في ذلك أنه إذا تم إشعال النار للطهي، فإن البيت سيحرق، وهذا الاعتقاد في الغالب هو من بقايا المعتقدات اليهودية بالواحة، خاصة أن اليهود لم تكن لهم ملاح، بل عاشوا بين السكان في القصر.

أما في سوس، فكان الشباب يخرجون مجموعات خارج قُراهم، فينادون – فيما زعموا – على الذئب أن يبعد عن غنمهم، فيبنون هناك أحجاراً في محال ثم يرجع الجميع، وهم يغنون غناء معلوماً محفوظاً متوارثاً إلى أن يصلوا القرية فيبيتون على لعب أحواش[19]، وفي



إينولتـان بالأطلس الكبير يقيمون أسـواقاً خاصة بمناسـبة عاشـوراء يتزودون منها بأنواع الملابـس والفواكه، ويحرقن البخـور ويضعن الحناء. وفي هذه المناسـبة تشـعل النيران في أكـوام مـن الحطب أمام الدور ليـلاً. وفي الغد يخرجون ويشـكلون عصابات تتأمر عـلى بعض الأفـراد، وتلقي بهم في الميـاه الجاريـة في السـواقي[20].

كما تكون عاشـوراء مناسـبة لإقامة الاحتفـالات في الزوايا والأضرحـة الدينيـة، وإن كانـت أقل حـدة مقارنـة مع عيد المولـد النبوي، حيـث تحيي الطائفة العيسـاوية في مكناس وبقيـة مناطـق المغـرب ليلـة عاشـوراء عـبر احتفـالات موسـيقية وطقـوس عـدة، منهـا لعبـة الجمـل والجـمال، حيـث يصـارع الجمال جملـه غـير المـروض، ويلاعبه إلى أن يرضـخ[21]، أمـا في الريـف الأوسـط والريـف الشرقـي فـكان المرابطـون ومعهـم سـكان المنطقة يحرصـون على إحيـاء هـذه المناسـبة في الأضرحـة، وترجع هذه المناسـبة في الريفـين الأوسـط والشرقي إلى تاريخ بعيد، فقد أشـار البـادسي إلى أن عباد بقوية كانوا يجتمعون ليلة عاشـوراء في الرابطـة المعروفـة بـأم أيمـن[22]. أما حفظـة القرآن في الكتاتيـب القرآنيـة التقليدية، فيلبسـون الجلبـاب المغربي، ويحملـون ألواحهم بشـكل جماعي، ويتجولـون في القرى والأحيـاء لجمـع الهبات والصدقـات التي تكون مـن النقود والبيـض، حسـب كل منطقـة من مناطـق المغرب.

أطباق مغربية في عاشوراء

تتميـز مناسـبة عاشـوراء في المغـرب عامـة بإعـداد وجبة الكسـكس بالخـضر مع ذيل الخـروف والقديـد المتبقي من عيـد الأضحى، إلى جانب تناول الشـاي مـع الفواكه الجافة وحلويات تسـمى القريشـلات، إلا أنه من منطقة لأخرى يتم إعـداد وجبـات أخرى، وهـو ما يـبرز تعدد وتنـوع المطبخ المغـربي، وغنـى الثقافة المغربيـة، ففي المناطـق الأمازيغية

تعـد ربـات البيـوت تاگـلا العصيـدة مـع العسـل وزيت الأركان إلى جانـب أكلـة أوركيمـين التي تتكون من سـبعة حبـوب كالعدس والفـول... مع قوائم الماعـز أو الغنم، وهما مـن الأطبـاق التـي تعد كذلـك بمناسـبة السـنة الأمازيغية (إيـض ينايـر)، إلى جانـب خبـز تفرنـوت. وفي طاطا يتم إعـداد الكسـكس بأرجـل أضحيـة عيـد الأضحـى، أمـا في تارودانـت فيتم إعداد شرشـم وهو حسـاء يتكون من القمح والـذرة والفول، والمـاء والزيت والقديـد، وفي تافيلالت يتم تحضـير طبق يتكـون من القديـد والفـول والحمص، وفي الصويـرة ونواحيهـا يتـم إعـداد كسـكس مزيـن بمختلف الفواكـه الجافة والحلويات والبيض المسـلوق، أما في بعض المناطـق فيكـون الاحتفال بإعـداد الثريد بالدجـاج البلدي. وإلى جانـب الاحتفال بإعداد هذه الأطبـاق يتم إعداد أكلات شـعبية أخـرى تختلف حسـب المناطق المغربية كالإسـفنج، والفطائـر، ومختلف أنـواع الحلويات.

بابا عايشور أو بابا نويل عاشوراء المغربية

يعدّ بابا عايشـور الشـخصية التي ترتبط بمناسبة عاشوراء في المغـرب، وهي شـخصية أسـطورية لها أسـماء متعددة حسـب المناطـق المغربية، وهي شـخصية توازي شـخصية بابـا نويل في الثقافة المسـيحية، وشـخصيات أخرى تربط بعاشـوراء في دول عربية وإسـلامية أخرى، مثل شـخصية الشيشـباني في ليبيـا، وارتبـط بابـا عايشـور في المغـرب كذلـك بالهدايا، حيث يتلقـى فيه الأطفال مـن أسرهم هدايا مختلفـة عبـارة عن لعـب وملابس جديـدة، كما أنهـم أثناء اللعـب والاحتفـال بليلـة عاشـوراء يطوفون عـلى البيوت، ويعترضـون المـارة طلبـاً لحـق بابا عايشـور الـذي يكون عبارة عـن قطع مـن المال يقـدم لهم.

وشـخصية بابـا عايشـور معروفة بأشـكال عـدة بالمغرب، منهـا أنـه رجل عجـوز يرتـدي سروال فضفـاض، وينتعل في قدمه خف حـذاء تقليدي، ويغطى بالقفطان فالسـلهام





الأنيق العباءة، في حين تعلو رأسه قبعة عالية مزركشة، إضافة إلى المحفزة والعكاز.[23] ومنذ سنة 2006 بدأ الفنان المسرحي المغربي محمد صوصي علوي هاشم يتقمص شخصية بابا عايشور لإحيائها وتعريف الجيل الحالي بها.

الفرجة الشعبية في عاشوراء

في عاشوراء الكل يحتفل في المغرب رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً، داخل البيت في الأسطح وحتى خارجه في الأزقة والشوارع والقرى والمداشر، بل تتحول هذه الاحتفالات في كثير من الأحيان إلى كرنفالات، وإذا كانت احتفالات عاشوراء يكون إحياؤها بالضرب على آلات الإيقاع مثل الطعريجة، البندير، الدربوكة، الطبل، وترديد الأهازيج الشعبية الخاصة بمناسبة عاشوراء مثل:

رقم 1:

عَيْشُوري عَيْشُوري دْلِيت عْليك شْعُورِي
كِخْيُوطْ الجْرارة كِلْموت الغْدارَة.
كْدِيدَة كْدِيدَة ملوية عَ لْعْواد
بابا عَيْشُورْ جا يْصَلِي وْداه الْواد.
هذا عايشور ما علينا لْحْكَامَ آلالة
عيد ميلاد ما يحكموا فيه الرْجالَ آلالة.

رقم 2:

آ لالة منانة
أكبيرة المصرانة
آجي تكوني بنتي
ندير لك عبانة
من الخوخ والرمانة
الساقية تسقينا
والواد ما يدينا
إلخ...

كما أنها أيضاً مناسبة للاحتفال عبر مختلف أنماط الموسيقى والرقص الشعبي المغربي المحلي، التي تتنوع بتنوع المناطق المغربية، فمثلاً في مراكش يتم الاحتفال بفن الدقة المراكشية، وفي مناطق سوس فيكون الاحتفال بلعب أحواش، وفي الأطلس المتوسط بفن أحيدوس، أما في تارودانت فالاحتفال بعاشوراء يكون بفن الملحون. وإلى جانب الرقص والموسيقى الشعبية فعاشوراء في المغرب تكون مناسبة للاحتفال بها بأشكال مختلفة من المسرح الشعبي المغربي، ففي مناطق الريف يحتفى بهذه المناسبة بمسرحيات بـا شـيخ، أما في بعض المناطق فيتم إقامة بوجلود، حيث يقوم مجموعة من شباب بارتداء جلود الغنم أو الماعز، ويضعون أقنعة، ويقيمون تمثيليات، وفي تزنيت يخرج الشباب إلى الأزقة والشوارع في موكبهم، يغنون ويرقصون مرتدين ملابس تنكرية ذات تصاميم غريبة[24]، أما في فاس فكان جنود الجيش الملكي ينظمون استعراضاً هزلياً يدعى البساط، يجري بدار المخزن ليلة عاشوراء،





وفي الأيـام التاليـة عنـد الأعيـان في مقابـل هدايـا[25]. كما تكـون عاشـوراء أيضـاً مناسـبة للتحديات من خـلال القفز على نـيران «الشـعالة»، وإطلاق الشـهب والألعـاب النارية.

زمزم مهرجان النهاية

وفي الصبـاح الباكـر لليـوم التـالي لعاشـوراء، تكتمـل الاحتفـالات بإقامـة مهرجـان شـعبي ضخـم، يكـون في جميـع أرجـاء المغرب، هو زمزم الذي يتراشـق فيه الشـباب والأطفـال فيـما بينهـم بالمـاء، كـما يغتسـل فيـه الرجـال والنسـاء بالمـاء، أمـا الأمهات فيقمن بغسـل وجـوه أبنائهن ورؤوسـهم، وترش النسـاء المـاء في أرجاء المنـازل، أما في البـوادي فيقوم الناس بـرش حظائر المـواشي بالمياه، وفي بعـض المناطق يقـوم الشـباب بإلقـاء بعضهـم بعضاً في الأنهـار والجـداول، وذلك طلباً لبركة هذه المياه المقدسـة، إذ يعـدون أن جميـع المياه فوق سـطح الكرة الأرضيـة ترتبط ببـئر زمـزم، وتسـتمد خصائصها مـن مياهها.

تفسير أصل الاحتفال بمناسبة عاشوراء في المغرب

تعـدّ عاشـوراء أكـبر موسـم احتفـالي بالمغرب الـذي يبدأ مـن فاتـح السـنة الميلاديـة إلى العـاشر من شـهر محرم، بـل يتعـداه أحيانـاً، كما تتميز عاشـوراء في المغـرب بتعدد الطقوس والعـادات والتقاليـد، وحتى المعتقدات الشـعبية، وهـو الأمـر الـذي دفـع الكثـير مـن العلـماء والباحثـين المغاربـة، وحتى الأجانب، إلى محاولة تفسـير أصل احتفال المغاربـة بعاشـوراء، فمنهـم مـن رأى أن أصـل الاحتفـال مسـيحي، ودليلهـم في ذلـك التشـابه بـين رأس السـنة الميلاديـة وعاشـوراء التـي تأتي بعد عـشرة أيام مـن فاتح السـنة الهجريـة، خاصـة فيما يتعلـق بعـادة شراء الألعاب والحلويـات للأطفـال الصغـار، وارتبـاط شـخصية بابـا عاشـور بعاشـوراء، في مقابـل شـخصية بابـا نويل برأس السـنة الميلاديـة، كـما أن الاغتسـال بالمياه يوم زمزم يشـبه إلى حـد كبير طقس التعميـد في الديانة المسـيحية. وهناك مـن رأى أن مظاهـر إبداء الفـرح والبهجة والسـرور بشراء ملابـس جديدة، والفواكه الجافـة، وتقديم الحلوى والألعاب للأطفـال في عاشـوراء، هي مـن بقايا التأثيرات الأندلسـية في المغـرب، خاصة أن العادات نفسـها كانـت في الأندلس. في حـين هنـاك مـن رأى أن أصـل الاحتفال بعاشـوراء هو شـيعي، يعود إلى بقايـا التشـيع بالمغرب، وأن عـادة شراء الألعـاب للأطفـال ما هـي إلا محاولة مـن الآبـاء والأمهات لإلهـاء صبيانهـم في ذلـك اليـوم عـن التفكـر في قضيـة سـيدنا الحسـين، حتى لا يكـثروا النـواح عليـه[26]، كما أن بعـض الأهازيـج الحزينة التي تتغنى ببابا عاشـور الذي ما هو في الحقيقة إلا الحسـين، عليه السـلام، بل كانت جموع عـدة من الشرفـاء في فاس تتخذ الحـداد، بعضهم من فاتح محـرم، وبعضهم شـهراً كامـلاً قبـل عاشـوراء[27]، وهناك مـن أرجع أصـل الاحتفـال بعاشـوراء بالمغـرب إلى التأثير اليهـودي، خاصة أن اليهـود كذلك يحتفلون بهذه المناسـبة أيضـاً، ولأن العنـصر اليهـودي يحضر في تجسـيد بعض أشـكال المسرح الشـعبي، خاصة في الجنـوب المغربي. كما أنـه في واحة تسـينت بطاطا يكـون إحياء عاشـوراء بعدم إشـعال النـار في البيت والطبخ يوم عاشـوراء. في حين عدّ فريـق آخر أن مجموعـة من الطقوس والتقاليـد والمعتقدات الشـعبية كالاعتقاد في الجن، البركة، السـحر، والكرنفالات، المرتبطـة بعاشـوراء من البقايـا الوثنية للمعتقـدات الدينية القديمـة التي كانـت بالمغرب القديـم كالديانـة القرطاجية، والفينيقيـة، والأمازيغيـة، والديانة العربيـة القديمة. فمثلاً عالم الاجتماع الفنلندي إدوارد ويسـترمارك عدّ أن عاشـوراء طقـس شـمال إفريقـي، مسـتنداً في رأيـه إلى أن المـشرق العربي لا يعرف مهرجان عاشـوراء، وثانيهما الشـبه الكبير الموجـود بين هـذا المهرجـان وطقس منتصـف الصيف[28]، الـذي كان في شـمال إفريقيـا في القديم.

ويظهـر أن أصل الاحتفال بعاشـوراء في المغـرب هي بوتقة لتأثـيرات جميع الحضـارات والديانات، وحتـى الدول التي تعاقبت على حكـم المغرب.

خاتمة:

إن دراسـة إحياء الاحتفالات بمناسـبة عاشـوراء في المغرب يمكـن أن تكـون انطلاقة لدراسـة إحياء عاشـوراء في دول عربيـة أخـرى، وهو مـا سـيمكن من عقـد مقارنـات فيما بينها لاسـتجلاء أوجه الشـبه والاختلاف فيـما بينها، ومعه إبـراز التنـوع الثقافي التـي يزخر به عالمنا العـربي، والذي يمكـن دعمه علمياً بوضع أسـس نظرية لتأسـيس جغرافية الـتراث الشـعبي العـربي، أو صياغـة لنموذج جديـد يهتم بدراسـة التراث الشـعبي العربي على منوال نمـوذج المثلث القائـم عـلى (نيئ، مطبـوخ، معفن) لكلود ليفي سـتراوس في دراسـة الطعـام، أو نمـوذج مورفولوجيـة الحكايـة الشـعبية لفلاديمـير بروب في دراسـة الحكاية الشـعبية.



الهوامش:

1. إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، المغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 91.
2. حسن نجمي، 2007، غناء العيطة الشعر الشفوي والموسيقى التقليدية في المغرب، الجزء1، دار توبقال، الدار البيضاء، ص 57.
3. إبراهيم القادري بوتشيش، 1992، ظاهرة التسول في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين، مجلة مكناسة، ع 6، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، ص 120.
4. إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عهد المرابطين، مرجع ساب، ص 91.
5. علي بن أبي زرع الفاسي، 1972، الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، ص 91.
6. أبو العباس الونشريسي، 1981، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس، ج 8، أخرجه محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ص 254.
7. أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، 1986، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق عبد الكريم الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، ص 252.
8. Edmond Douté, 1909 Magie et Religion en Afrique du Nord, Alger, P507.
9. إبراهيم حركات، 1994، المغرب عبر التاريخ، الجزء 3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ص 552.
10. عبد الرحمن بن زيدان، 1961، العز والصولة في معالم نظم الدولة، الجزء 1، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، ص 77.
11. المرجع نفسه، ص 120.
12. محمد الضعيف الرباطي، 1986، تاريخ الضعيف تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، ص 274.
13. عبد الله السويسي 1979، تاريخ رباط الفتح، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ص 155.
14. روجي لوطورنو، 1992، فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الصفحة 853 وما بعدها، بتصرف.
15. عبد السلام السعيدي، 2003، عاشوراء بالمغرب، معلمة المغرب، الجزء 17، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، ص 5842، بتصرف.
16. عبد الغني منديب، 2006، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص ص 132، 133 بتصرف.
17. المصطفى فرحات، 2007، طقوس وعادات أهل أبزو المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، ص 52، بتصرف.
18. إدموند دوتي، مراكش، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات مرسم، الرباط بتصرف.
19. المختار السوسي، المعسول، الجزء 1، ص 30.
20. أحمد التوفيق، 2011، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان 1912-1850، ط3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ص 433
21. نور الدين الزاهي، 2011، المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 98.
22. مراد جدي، 2010، تحولات التدين الشعبي بالريفين الأوسط والشرقي، جامعة محمد الأول، وجدة، ص 132.

23.https://www.alquds.co.uk/%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7-%D8%B9%D9%8A%D8%B4%D9%88%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%B7%D9%82%D9%88%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D9%84/

24. https://soussplus.com/35512.html

25. روجي لوطورنو، مرجع سابق، ص 857 بتصرف.
26. أبو العباس أحمد الرهوني، 2001، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، الجزء 2، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان ص 226.
27. روجي لوطورنو، مرجع سابق، ص ص 852، 853.
28. عبد الغني منديب، مرجع سابق، ص 23.

البيبليوغرافيا:

- إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، المغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- __________، 1992، ظاهرة التسول في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين، مجلة مكناسة، ع 6، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس.
- إبراهيم حركات، 1994، المغرب عبر التاريخ، الجزء 3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.
- أبو العباس الونشريسي، 1981، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس، ج 8، أخرجه محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.
- أبو العباس أحمد الرهوني، 2001، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، الجزء 2، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان.
- أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، 1986، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق عبد الكريم الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط.
- إدموند دوتي، مراكش، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات مرسم، الرباط.
- أحمد التوفيق، 2011، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان 1912-1850، ط3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.
- حسن نجمي، 2007، غناء العيطة الشعر الشفوي والموسيقى التقليدية في المغرب، الجزء1، دار توبقال، الدار البيضاء.
- روجي لوطورنو، 1992، فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- عبد الله السويسي 1979، تاريخ رباط الفتح، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط.
- عبد السلام السعيدي، 2003، عاشوراء بالمغرب، معلمة المغرب، الجزء 17، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا.
- عبد الرحمن بن زيدان، 1961، العز والصولة في معالم نظم الدولة، الجزء 1، مطبوعات القصر الملكي، الرباط.
- عبد الغني منديب، 2006، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
- علي بن أبي زرع الفاسي، 1972، الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط.
- محمد الضعيف الرباطي، 1986، تاريخ الضعيف تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط.
- المختار السوسي، المعسول، الجزء 1.
- مراد جدي، 2010، تحولات التدين الشعبي بالريفين الأوسط والشرقي، جامعة محمد الأول، وجدة.
- المصطفى فرحات، 2007، طقوس وعادات أهل أبزو المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط.
- نور الدين الزاهي، 2011، المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
- Edmond Douté, 1909 Magie et Religion en Afrique du Nord, Alger, P507 .

المواقع الإلكترونية:

- https://www.alquds.co.uk/%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7-%D8%B9%D9%8A%D8%B4%D9%88%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%B7%D9%82%D9%88%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D9%84/
- https://soussplus.com/35512.html.